Social and economic life in Elam from the beginning of the third millennium until the mid of the second millennium BC

Dr. Jihad Abboud*
Saba Suleiman**

(Received 10 / 6 / 2020. Accepted 26 / 8 / 2020)

□ ABSTRACT □

By looking at the civilizational history of the ancient Western Asia in general, the Iranian plateau and its relationship with the Mesopotamian region, some information can be obtained about the ancient man who inhabited Elam.

The study of social life in Elam and its comparison with the social life of the people of Mesopotamia illustrates the nature of the Elamite society, its ethnic composition, culture, and civilizational connection with other ancient peoples in the ancient world, in the third millennium B.C., which was reflected in the life of Elamite in various aspects of life.

Key words: Mesopotamia - Elam - society - to the gods - - temples.

***Professor - College of Arts and Human Sciences - University of Damascus - Syria**
****PhD student - College of Arts and Human Sciences - University of Damascus - Syria**

الحياة الاجتماعية في عيلام في الألف الثالث والثاني ق.م

د. جهاد عبود*

صبا سليمان**

(تاريخ الإيداع 10 / 6 / 2020. قبل للنشر في 26 / 8 / 2020)

□ ملخّص □

من خلال الاطلاع على التاريخ الحضاري لمنطقة غربي آسيا القديمة بشكل عام ومنطقة الهضبة الإيرانية وعلاقتها مع منطقة بلاد الرافدين يمكن الحصول على بعض المعلومات عن الإنسان القديم الذي سكن عيلام.

توضح لنا دراسة الحياة الاجتماعية في عيلام ومقارنتها مع الحياة الاجتماعية لسكان بلاد الرافدين طبيعة المجتمع العيلامي تركيبته العرقية وثقافته واتصاله الحضاري بغيره من الشعوب القديمة في العالم القديم، في الألف الثالث قبل الميلاد، الأمر الذي انعكس على حياة الإنسان العيلامي في مختلف جوانب الحياة.

الكلمات المفتاحية: وادي الرافدين – عيلام – المجتمع – لآلهة – – المعابد.

* **أستاذ– كلية الآداب والعلوم الإنسانية– جامعة دمشق– سورية**

** **طالبة دكتوراه– كلية الآداب والعلوم الإنسانية– جامعة دمشق– سورية**

مقدمة:

إن دراسة تاريخ منطقة ما : خصوصاً التاريخ الحضاري لمنطقة ما،لا يتم بمعزل عن المناطق المجاورة لها. ولا يوجد عبر التاريخ حضارة لم تُؤثر وتتأثر بغيرها من الحضارات المجاورة لها. بالنسبة إلى عيلام تميزت الحدود بينها وبين وادي الرافدين قديماً بطولها ، مما جعل التفاعل الحضاري بينهما كبيراً جداً وفي مختلف ميادين الحياة، وهذا ما ميز عيلام عن باقي أنحاء الهضبة الإيرانية، وجعلها شديدة الشبه بحضارات وادي الرافدين، كذلك كانت للمناطق المجاورة لوادي الرافدين من الشرق (عيلام) ومن الغر ب(سوريا) أهميةً كبيرةً لذلك حرصوا على الانفتاح عليها ولإفادة من مواردها.

أهمية البحث وأهدافه:

الحضارة العيلامية من الحضارات المميزة في تاريخ العالم القديم، ومع ذلك فهنالك الكثير من الغموض الذي يكتنف تاريخها القديم لا سيما في فترة ما قبل منتصف الألف الثاني ق.م. وتتجلى أهمية هذا البحث في محاولة لتقديم صورة بسيطة عن المجتمع العيلامي والحضارة العيلامية . اعتُمد في هذا البحث على الدراسات التاريخية التي تتحدث عن حضارات غربي آسيا القديمة بشكل عام وتاريخ بلاد الرافدين بشكل خاص.

ثالثاً– الأصول العرقية والتقسيمات الطبقية في بلاد عيلام:

1– السكان في الألف الثالث:

استوطنَت عيلام أقوام ،أصولُها غير مؤكَّدة إلى الآن،لأن تحديد أصل سكان عيلام وأنسابهم أمرُ بالغ الصعوبة، تُعدُّ عيلام جغرافياً بلاداً مفتوحة الحدود خصوصاً بلاد الرافدين، ممَا جعلها عرضة لموجات المهاجرين التي كانت نشطة في تلك الحقبة من تاريخ غربي آسيا القديمة، وتؤكد جميع المصادر أن العيلاميين هم العيلاميون أيّ قوم مستقلون ، ولم تستطع أيةُ دراسة إلى الآن تأكيد اختلاطهم مع شعوب أخرى، وعلى الرغم من ذلك يمكن القول إنّه أمكن تحديد سمات مشتركة ، تجمع بينهم وبين قبائل اللولوبيين[1] وقبائل السو[2]، وجاء اعتقاد الباحثين بصلات العيلاميين مع هذه الأقوام من خلال التشابه في بعض مفردات اللغة ، لا سيما أسماء العلم،[3]على أغلب الظن أن سكان عيلام لم ينحدروا من عرق واحد بل من عدة أعراق،فقد عُثر على نقش من السيراميك،كان قد جاء به الملك الفارسي داريوس من عيلام بعد سيطرته عليها ، ليزين به قصره ، وكان النقش يتحدث عن أعراق بشرية، كما حمل صور أناس ذوي بشرة بيضاء وآخرين ذوي بشرة بنية، في حين كان لون بشرة الثالثة أسود ويرُجَّح أنَّ أصحاب البشرة السوداء كانوا سكان السهل ،إلاّ أنهم ليسوا من العرق الزنجي.

أمّا سكان المناطق الجبلية فهم أصحاب البشرة البنية اللون، والشعر الأسود، وأصحاب بنية جسدية قوية وعزم شديد،بالإضافة لقامة طويلة تفوق قامة سكان السهل،تساعدهم على التكيف مع ظروف حياتهم القاسية. لقد تميز العيلاميون عن غيرهم من الشعوب الأخرى بطبيعتهم الغامضة ، وبعض السمات المتناقضة، وفي الوقت نفسه كانوا

[1]اللولوبيين قبائل تسكن المناطق الجبلية الشمالية في زاغروس ،ورد ذكرهم في االنصوص المسمارية بصيغة (لولوبي- لولو- لولوبوم). والسو تسمية تطلق على الشعب الذي يسكن المناطق الجبلية الشمالية من عيلام . انظر هاري ساغز، عظمة بابل، ترجمة ،عامر سليمان، 1989، ص70.

[2]Hinz,.The lost world of E lam.P.7-5.

[3]الأحمد، سامي سعيد و رضا الهاشمي ، تاريخ الشرق الأدنى القديم (إيران و الأناضول) بغداد، 1980، .ص51 .

موهوبين، وذوي خيال واسع ، برعوا في النحت على الحجارة والصخور، واتصفوا بالمبالغة في أحكامهم على وجه العموم. أمّا محاولات الدخول في صلب طبيعتهم فكلها باءت بالفشل ، لأنهم _كما ذكرنا_ غامضون إلى حدٍّ كبير[1].

2- السكان في الألف الثاني ق.م كان العيلاميون عرقاً مميزاً ليس له صلة عرقية مع أقوام آخرين على الرغم من وجود خصائص مشتركة مع غيرهم ، وتأثَرهم المباشر بسكان وادي الرافدين، وتشير بعض الدراسات إلى مجيء مجموعات سكانية من بلاد الرافدين زمن الدولة الأكادية استقرت في عيلام[2]، وقد بقيت هذه المجموعة العرقية الأكادية في عيلام بعد انفصال عيلام عن الدولة الأكادية[3]، ولا بد أنها انصهرت في بوتقة المجتمع العيلامي.

في نهاية الألف الثاني ق.م تعرضت هذه التركيبة العرقية لتغيرات عميقة مع وصول السكان الإيرانيين الذين استقروا في الهضبة : الميديون في الشمال الغربي بين منطقة بحيرة أرمينيا وهمدان، والفرس الذين استقروا في منطقة فارس الحالية [4] ومثّل وصول الفرس إلى مناطق مأهولة بالعيلاميين تغيراً حاسماً في تاريخ جنوب غربي الهضبة الإيرانية (Anzan) ؛حيث بدأت المناطق العيلامية بالخضوع لحكم الفرس تحضيراً لظهور السلالة الأخمينية الفارسية[5].

ويمكننا القول :إنَّ سكان إيران الذين قدموا في مطلع الألف الأول ق.م أيّ الميديون والفرس لا ينحدرون من العرق نفسه الذي ينحدر منه سكان عيلام .

3-التقسيمات الطبقية للمجتمع العيلامي:

- **نشوء المجتمعات الأولى في عيلام** : لدراسة كيفية نشوء الطبقات في المجتمع العيلامي سنذكر بدايةً نشوء تلك الطبقات في وادي الرافدين، لأن سكان عيلام تأثروا تأثراً كبيراً بما كان عليه سكان الجنوب الرافدي تحديداً.

منذ أن خرج الإنسان من عالم الحيوان منذ مليوني عام تقريباً، بدأ التفاعل بينه وبين الطبيعة المحيطة به، وفي اللحظة عينها بدأت طريق تطوره ككائن اجتماعي.

ومن المعروف أن الإنسان البدائي لم يعرف الطبقات الاجتماعية، لأن نشاطه الاقتصادي لم يكن قد أعطى فائض الإنتاج، ويُعدُّ هذا الأخير السبب الرئيس في نشوء المجتمعات الطبقية، فكيف تمّ ذلك ؟. في نهاية العصر الحجري القديم انتقل الإنسان من مرحلة الجمع والالتقاط إلى مرحلة جديدة في طريق تطوره،حيث بدأ بصنع أدواتٍ بسيطةً ليستخدمها في الصيد الذي أخذ يعتمد عليه لتأمين غذائه إلى جانب ما تقدّمه له الطبيعة.

1- قطاع المشاعة: نجح الإنسان خلال العصر الحجري الحديث في اكتشاف الزراعة، كان أوّلُ محصول عرفه و زرعه هو محصول الشعير، ومن ثمّ القمح، لينتقل بعد ذلك للعيش في جماعات أو مشاعات بشرية عندما أصبح القمح يؤمن للمشاعة الغذاء طيلة العام. ثم بدأ بتربية الحيوانات وتدجينها، وانتقل للعيش في منازل مبنية من الآجر الطري بعد أن كان يسكن الكهوف.

في بداية العصر الحجري الحديث صنع الإنسان الأدوات الحجرية المصقولة ، كما ابتكر صناعة المنسوجات والأواني الطينية والفخارية، ممّا أدّى إلى ظهور فائض إنتاج يزيد عن حاجة المشاعة البدائية، فازداد عدد السكان نتيجة لارتفاع مستوى المعيشة، وأخذت المشاعات البدائية تنقسم ، فغادر بعضها المناطق الزراعية في سفوح الجبال باتجاه

---

[1] **Hinz , the lost world of Elam .p.11 .**

[2] **Potts,.D.T.,TheArrchaeologg of Elam for mation and Trans Foration of the anciet Iran ianstatscambridg /1999/p.58 .**

[3] **يوسفوف، دولة عيلام، موسكو، 1977،ترجمة حسان، اسحق، دار علاء، 2005. ،ص 86.**

[4] **De.microschedj,((observations dans les couches au nord-ouest du tell, p.48**

[5] **Vallat,. Elam . l.History of Elam EncyclopaediaIranical/1998/P. 60-62 de la ville Royale asusedans cahiers de la DAFI/vol/12/1981/P.143-167.**

السهوب ، حيث تقل كمية الأمطار ومصادر المياه اللازمة للزراعة ، وأصبحت الزراعة من الأمور الشاقة بالنسبة إليهم، فاتجهوا لتربية قطعان الماشية إلى جانب الزراعة التي أصبحت عملاً ثانوياً، فكان هذا أوّل انقسام اجتماعي كبير للعمل، و أصبح نشاط الإنسان (زراعياً، رعوياً) هذا الانقسام ولّد الحاجة لتبادل المنتجات لسدّ حاجات السكان. وفي بادئ الأمر كان الحجر هو معيار التبادل ،لأنَّ حاجتهم للحجر اللازم لصنع أدوات العمل كانت كبيرة ، كحجر الصوان وحجر الأبسيدون[1] ،ووجود مثل هذه الأحجار كان نادراً .وبقي التبادل بالحجر قائماً حتى اكتشف الإنسان المعادن الأولى ، وهي النحاس، و الفضة ،و الذهب وهنا دخلت المعادن في المبادلة مع مختلف الصناعات اليدوية الحرفية .في هذه المرحلة وقع الانقسام الاجتماعي الكبير الثاني للعمل، وهو انقسام الحرفة عن الزراعة، فقد تطورت الزراعة، وابتكر الإنسان شبكات الري على الأنهار الكبرى و طوّعها واستفاد من مياهها في ري الأراضي الزراعية صيفاً ، ودرء خطر الفيضانات شتاءً، كما في واديي دجلة والفرات اللذين كانا يجريان في وادي صحراوي جاف، حوّله إنسان وادي الرافدين القديم إلى أراضي زراعية خصبة بعد بناء مجموعة من شبكات الري الصناعي التي احتاج لإقامتها إلى أيدي عاملة منظمة واتحاد عدة مشاعات سكانية لإنشائها[2]، وبنتيجة هذا التطور زاد فائض الإنتاج وأصبح بمقدور المشاعة التخلي عن بعض أفرادها للعمل في الحرف ليصبح النشاط البشري (زراعة– رعي – حرفة) وتظهر النقوش التي عُثر عليها في عيلام الأنشطة المتنوعة التي كان العيلاميون يمارسونها.

هذا التطور حتّم على الإنسان في المشاعات البدائية إيجاد شكل من أشكال التنظيم الاجتماعي، فكان هذا بداية الطريق لولادة المجتمعات الطبقية الأولى، أو ما يعرف بالدولة.

2– قطاع الدولة: في البداية اتحدت عدة مشاعات إقليمية حول مشاعة مركزية مشكلة مدينة تولّد عنها نشوء ما يُعرف بدويلات – المدن،[3] ونشأت فيها الحضارات الأولى كحضارة أوروك، والعبيد[4]، والحضارات الأكادية والبابلية والآشورية، التي قامت حياتها بالدرجة الأولى على النشاط الزراعي بعد إقامة شبكات الري ، لكن علينا ألاّ نغفل الجانب الاجتماعي إلى جانب الأساس الاقتصادي في عملية نشوء المدينة الدولة، التي كانت مدينتا أور وأوروك في وادي الرافدين تمثل نموذجاً لبداياتها الأولى[5].

لقد كانت المدينة الدولة تشكل المركز الاقتصادي ، ومركزاً لتوزيع المنتج الفائض، ومركزاً للحرفة والتجارة التي ظهرت بقوة في النشاط الاقتصادي لسكان غربي آسيا بشكل عام ووادي الرافدين بشكل خاص[6].

مع نشوء الدولة انقسم القطاع الاقتصادي في الألفين الثالث والثاني ق.م إلى قطاعين رئيسيين: قطاع الدولة والقطاع المشاعي الخاص، وهذا الانقسام حصل في وادي الرافدين وعيلام.

وتتحدّث إحدى الوثائق الاقتصادية عن قطاع الدولة في عيلام ، وعن أراضي الملك التي يعطيها لكبار الموظفين، وكانت إعادة توزيع الأراضي بين أفراد المشاعة تتم بشكل دوري ومنظم : أي أن المشاعة هي التي كانت تمتلك الأرض بغض النظر عن حق العائلات في استخدامها أو التصرف بها ،وكانت غلتها تحسب وفق " أدوار"،والأدوار

---

[1] الأبسيدون هو حجر من الأحجار الكريمة وهو بالأصل حجر بركاني من حجارة الحمم السوداء غني بحمض السيليسيك ، يسمى بالفارسية السبج أو الشبه ، ويسمى الزجاج البركاني ، و الحجر الزجاجي الأسود . انظر: السعدون، بلاد الرافدين وعيلام، المرجع السابق، ص 130.

[2] ماركس ،كارل ،هلمونرايش،نمط الإنتاج الأسيوي في فكر ماركس وانجلز، ترجمة بوعلي ياسين،دار الحوار ،اللاذقية،1988،ص70 ،74.

[3] الهاشمي ، تغريد . حسن حسين عكلا ، الإنسان تجليات الأزمنة . تاريخ و حضارة ...بلاد الرافدين . الجزيرة العربية ،ط1 ، دار الطليعة الجديدة ، دمشق 1999 ص 143 .

[4] العبيد حضارة رافدية يعود تاريخها إلى حوالي الألف الخامس ق.م ، وتل العبيد يقع غرب مدينة أور في الجنوب الرافدي ويعود لفترة ماقبل التاريخ وتميزت تلك الفترة باختراع عجلة الفخار .انظر ، طه باقر، المقدمة، ص223.

[5] غولايف، المدن الأولى ،مابين النهرين مهد الحضارة البشرية ،ج1، دار التقدم ،موسكو، ترجمة ، طارق معصراني،1989، ص85-86.

[6] رشيد (حلمي عبد الوهاب) ، تاريخ وادي الرافدين، دار المدى للنشر، ط1، 2004، ص 63 .

معناها بالأكادية : بالو، وهي عبارة عن مناطق تُقسم تقسيمات إقليمية ثابتة داخل المشاعة تعطى رقم مثل(1،2،3،) ، وتعطيها الوثائق العائدة لتلك الفترة أسماء مثل المنطقة السكنية، كالدور الكبير،ويرد اسم شخص من بين الأشخاص يُدعى رئيس الفرق،ويرجَّح أنه رئيس فرق أعمال السخرة.وتتيح لنا هذه الوثيقة أن نرى في القصر العيلامي وحدة اقتصادية حقيقية يعمل فيه فلاحون وموظفون، كانت الضرائب تجبى من كل فئات السكان لتمويل القصر والمعبد ولشراء العبيد[1]،كما كان جمع مواشي الأضاحي للمعبد، وتأمين حاجات الحاكم والكهنة يقع على عاتق الأدوار كل دور على حدة[2].وكانت مدينة سوزا تُعُّد في ذلك الوقت مشاعة إقليمية زراعية.

أمّا في بلاد الرافدين فقد كان قطاع الدولة يشمل استثمارات الملك والمعابد، وكان مرتبطاً بالأرض التي كانت في البداية مشاعاً، ثم أصبحت ملكاً للملك والمعبد، يعمل فيها أشخاص محرومون من ملكية وسائل الإنتاج (محاربون – صناع – حرفيون– عمال)[3].وكان القصر والمعبد في تلك الفترة مركز الثقل الاقتصادي والاجتماعي في وادي الرافدين،لأنهما امتلكا السلطة والثروة .

ومع قيام الوحدة الحضارية لمدن وادي الرافدين تزايد عدد العبيد في المجتمع الرافدي نتيجة الفقر بالدرجة الأولى والحروب لتبرز في المجتمع طبقتان رئيستان هما طبقة الأسياد وطبقة العبيد[4] .

إلاّ أنّ قطاع الدولة في عيلام لم يبلغ مستوى التطور الذي كان عليه هذا القطاع في وادي الرافدين؛ فواردات الدولة العيلامية كانت أساساً من الجبايات الضريبية ، التي كانت تُجبى من أفراد المشاعات الأحرار، وفيه نلاحظ ظاهرة مميزة هي توزيع الأراضي الزراعية التي تملكها الدولة على كبار الموظفين والوجهاء لتبقى حيازة ، يستثمرها الشخص بشكل دائم، ولا يلغى حقه في الحصول على واردات الأرض والإعفاء من الضرائب حتى وفاة الملك ولكن إن أقرّ الملك الجديد هذه العطية تبقَ وإن ألغاها ألغيَ حقه في استثمار الأرض[5]. في التقويم السنوي لعيلام شهر يُدعى شهر حراثة حقول الآلهة ،كانوا يؤدون خلاله أعمال السخرة لصالح المعبد[6].

3- القطاع المشاعي الخاص:كان يدير شؤونه في عيلام أشخاص غير تابعين للدولة.وكان بيع الأراضي وشراؤها يتم بين الأقارب في حال انحلال المشاعة العائلية الكبيرة ، وفي هذا فهي تشبه قوانين أشنونا' التي منحت الأقارب حق الأفضلية في شراء الأملاك غير المنقولة ، التي تعرضها المشاعة للبيع، وفي هذه الحالة كانت تنمو عائلة الشاري وتكبر ثم تنقسم إلى عائلات مستقلة وتتحول مرة أخرى إلى مشاعة عائلية كبيرة.

وكانت السلطة في المشاعة الإقليمية العيلامية ذات طابع أبوي، فسلطة ربُّ العائلة فيها مطلقة ،ولكن عند وفاته كانت السلطة تتحول إلى سلطة أخوية، وفي بعض الأحيان كانت المشاعة تنمو لتصبح مشاعة عائلية كبيرة تتألف من عدة خلايا عائلية أخوية . إلاّ أنه كان يحق للأخوة الانفصال بعضهم عن بعض انفصالاً جزئياً، أو كلياً لتنمو خلية عائلية جديدة وهكذا [7].

وعلى هذا النحو أفضى الانقسام الاجتماعي الكبير الأول والثاني للعمل إلى نشوء المجتمعات الطبقية الأولى .

---

[1]د.غ.ريدر، ي . أ. تشركاسوفا، تاريخ العالم القديم ج1-موسكو ، 1970، ترجمة حسان اسحق، دار علاء الدين، دمشق، 2017، ص 77 .
[2]يوسفوف، دولة عيلام، ترجمة حسان ، اسحق، 2017، ص86.
[3]Hinz,.W., Thelost of world of Elam. P. 16.
[4] ،رشيد ، عبد الوهاب، تاريخ وادي الرافدين، المرجع السابق، ص132.
[5]ل.أ.ليبنين، نصوص مختارة ،ترجمة، حسان اسحاق، دار النور، دمشق، 2000،ص 181 .
[6]ا.م.دياكوف ، تاريخ ميديا من أقدم الأزمنة حتى نهاية القرن 4.ق.م . موسكو .لينغراد -1956 ، ترجمة، حسان اسحاق ، 2010، ص 47 .
[7]يوسنوف ، عيلام ، المرجع السابق، ص102 .

رابعاً: الدين والآلهة في عيلام :

منذ أن وُعى الإنسان وجوده على هذه الأرض سعى لكشف حقيقة العالم، و كيفية وجوده ، والسبب من وراء ذلك ، كما حاول السيطرة على الطبيعة المحيطة به وإخضاعها لرغباته ومصالحه عبر روابط وقوانين معينة بحسب المرحلة التاريخية التي يمرّ بها وتحدد مدى تطوره عقلياً وجسدياً، فقد اعتقد مثلاً أنَّ بإمكانه استنزال الأمطار،وشفاء الأمراض ، ودرء الكوارث الطبيعية عن طريق تأدية طقوس سحرية معيّنة، إلاّ أنه بعد أن فشل في تلك الممارسات المرة تلو الأخرى أدرك أنه غير قادر على ترويض مايحيط به وإخضاعه لإرادته ،فاتجه لإتباع أسلوب آخر، وأظهر الاحترام لما يجهل والخوف منه و عن هذا الشعور نشأت العبادات .

وهكذا ديانة أيّ شعب من الشعوب في التاريخ القديم أو الحديث هي جزء خاص من حياته، والإنسان بفطرته حاول منذ بداية حياته وضع ترتيب ونظام للأشياء المحيطة به، فوضع ما كان عاجزاً عن فهمه أو غير قادر على مواجهته في مرتبة عالية وأحاطها بقدسية معينة، وعن هذه الأفكار نشأت الآلهة: آلهة الرعد و آلهة الخصب و آلهة الموت وغيرها. فقد أعطى الإنسان الظواهر التي عجز عن الوقوف في وجهها أو عجز عن فهمها أسماء وعبدها وقدسها وقدم القرابين لاسترضائها، وألزم نفسه الطاعة والاحترام عن رغبة أو رهبة .هذه كانت بدايات الديانات القديمة، ومن غير المعروف تاريخياً متى كانت تلك البدايات .

لقد كان لكل شعب من شعوب العالم القديم آلهته ومعتقداته،التي كانت عرضة للتغيير تبعاً للأوضاع السياسية السائدة، فمع سيادة شعب على آخر يجعل المنتصر آلهته تسود على آلهة الشعب المغلوب وتحلّ محلَّها، إلا أن هذا لا يعني استبعاد آلهة الشعب المغلوب عن المجمع الديني نهائياً، بل كانت تُحتَرم وتُقدَّس كسباً لودِّ السكان ولإضفاء شرعية على الحاكم الجديد .وكما ذكرنا لا يمكننا تحديد بداية تاريخية لنشوء ديانات العالم القديم بما فيها ديانات غربي آسيا، لذلك يمكننا أن نرى فيها ديانات شعبية أو محليّة أبدعتها تلك الشعوب نفسها، ومن أشهر تلك الديانات الديانة السومرية التي استطاعت أساطيرها وآلهتها أن تبهر جميع الشعوب المحيطة بها ،فحاولوا الاستفادة منها وتطويعها في ديانتهم المحلية ،وكان العيلاميون الجار الأقرب للسومريين، لذلك كان من الطبيعي أن يكونوا من أوائل المتأثرين بتلك الديانة فأسماء آلهتهم و معتقداتهم عن الخلق والتكوين شديدة الشبه بما كان سائداً في وادي الرافدين ، وربما استوحوا أيضاً من السومريين طريقة بناء المعابد و طقوس الدفن ، ومعتقداتهم عن عالم ما بعد الموت وإيمانهم بحياة أخرى للإنسان بعد وفاته .وسنحاول تقديم بعض سمات الديانة العيلامية ،وأهم آلهتها و بناء معابدهم وطرق دفن موتاهم ومعتقداتهم عن الحياة الأخرى أو حياة ما بعد الموت[1].

1-الآلهة العيلامية

لقد اعتقد العيلاميون مثلهم كمثل باقي سكان غربي آسية القديمة بالقدرة الخفيّة للطبيعة، ورأوا أن جميع ما يحيط بهم من ظاهرات طبيعية هي ملك للآلهة تهبها لمن تشاء[2]، ويظهر ذلك من خلال بعض الوثائق التي يرجع تاريخها إلى العصر البابلي القديم عُثِر عليها في سوزا عاصمة عيلام ، وتحوي إحصاءات للأراضي الزراعية، وما تحويه من أشجار ونباتات بالإضافة للمعادن والأحجار الكريمة الموجودة، وترى فيها عطايا من الآلهة لهم[3].

[1] نفسه، ص45-55.
[2] السعدون، نصار سليمان، بلاد الرافدين وعيلام، ،ص275.
[3] نفسه،،ص275.

لكنَ المصادر التي تتحّدث عن الدين العيلامي قليلة جداً، ومع ذلك يمكننا من خلالها أن نلاحظ أن الدين أدّى دوراً أساسياً في عيلام ،ولو كان باستطاعتنا التعرف بشكل أكبر على الحياة الدينية للعيلاميين ومعتقداتهم لانكشف أمامنا عالمهم الروحاني بشكل أوضح .

لقد حملت الديانة العيلامية بعض ملامح الشبه بالديانات التي كانت موجودة في وادي الرافدين، إلا أنها امتلكت هويتها الخاصة التي برزت في عباداتها، ومنها عبادة الأنثى[1]،التي تجلت في عبادة الإلهة بينيكير (pienekir) التي اتخذها العيلاميون رمزاً للإلاهات كلّهنّ وفضلوها على غيرها ،فعدوها الأم العظمى وسُمِّيت أيضاً سيدة السماء وامتلكت لديهم القدرة على إلحاق الأذى وإحلال اللعنة على من تريد ، وأصبح اسمها يُضاف إلى أسماء الأشخاص لتزيد من قوتهم ، فمثلاً دُعيت ابنة الملك شلخاك –إنشوشيناك بأوتو–هيهي –بينيكير (utue–hihi–pienekir) وبينيكير توافق عند سكان وادي الرافدين عشتار، التي هي أيضاً الأم العظمى لكن ليس بالدرجة نفسها التي كانت عليها بينيكير عند العيلاميين.

كما انتشرت بين العيلاميين عبادة الأفاعي التي عُثرَ على صورها مرسومة على كثير من الأواني الفخارية القديمة التي عُثرَ عليها في سوزا، ويرقى تاريخها إلى الألف الرابع و الثالث ق.م[(2)]

كما نرى الأفاعي على سدّادات الأباريق و أغطية الأواني المتنوعة كرموز دفاع ضد الشياطين و كانت هذه الزخارف تُعلَّق قرب البوابات لتؤّدي دور الحراس المجتمعين حول السادة، وفي المواكب الملكية يظهر الإله محمولاً يطاف به جميع أنحاء المدينة ويقف أمامه عازفوَ الموسيقا، أما الحبال الملتفة حول العرش فكانت ترمز إلى الأفاعي المقدسة التي كانت أيضاً تنقش على الأواني والمذابح والفؤوس والصولجانات كبكرة ملفوفة حول الكرسي الملكي والتي قد يكون القصد منها حماية الموكب الملكي.

كما كانت الأفاعي رمزاً للخصوبة عندما تتمثل في اثنين من الأفاعي حيث تظهر الأفاعي إحداهنَّ ملتفةً على الأُخرى، كما تظهر الأفاعي في بعض الأحيان برؤوس بشرية،وهذه الزواحف المقدسة في عيلام عُثرَ على ما يشابهها في وادي الرافدين في بعض النماذج المنحوتة على الفخار إلا أنها ليست على الدرجة نفسها من القدسية التي أحاطها بها العيلاميون .

ويمكن للباحث في الحضارات القديمة أن يلاحظ أن العديد من الحيوانات صُوِّرت على النقوش إلى جانب آلهتهم المقدسة، وكانت تلك الحيوانات تُعدُّ رمزاً للقوة والسيطرة كالأسد في وادي الرافدين ، والأفعى التي كانت رمزاً للحماية في مصر الفرعونية.

كذلك ظهرت أيضاً إلهات كان لهنّ تبجيلهن وتقديسهن، مثل كريشيا التي كانت تُدعى أيضاً الأم العظمى كيري– أي الإلهة – ريشا – ومعناها العظمى .وما يجدر قوله هنا : إن العيلاميين لم يعتمدوا اثنتين من الأمهات المعظمات في المكان نفسه، ونقصد بينيكير وكيريشا، بل كان لكل منطقة في[(3)] عيلام آلهتها الخاصة بها ، ففي سوزا كانت بينيكير، وفي منطقة الخليج كانت كيريشا، ولم يكن تعدُّد الأمهات العظيمات موجوداً حتى مرحلة متأخرة من تاريخ عيلام .

ففي الألف الثالث ق.م كانت بينيكير الأم المقدسة و سيدة معبد عيلام، وبقيت كذلك حتى منتصف الألف الثاني ق.م لتصبح كيريشا بعدها عند جميع العيلاميين الأم المقدسة في معبد عيلام، يرافقها المجمع المحلي للأمهات المقدسات

[3]Sykes, Percy., History of Persia ,London ,1963,p.54-55 .
1Hinz, w, the lost world of Elam , p.38.
[3]Hinz,W Ibid, p.48-49.

في كل منطقة من مناطق عيلام. و بعد تلك المرحلة التاريخية بدأت الإلهات الأمهات تتراجعن شيئاً فشيئاً للآلهة الآباء ، فتراجعت بينيكير أو كيريشا أمام لإله خوم –بان، الذي أصبح في حوالي منتصف الألف الثاني ق.م الإله الرئيس في مجمع آلهة عيلام ، وعدَّه العيلاميون سيد السماء وزوجاً لسيدة السماء الأم أو سيدة السماء ، ومن زواج سيد السماء بسيدة السماء ولد إلاله خوتران . وقد ورد اسم هذا الإلاه في نص المعاهدة التي عقدها الملك العيلامي مع الملك الأكادي نارام–سوين في النصف الأخير من الألف الثالث ق.م ، وقد ضمت تلك المعاهدة أسماء ل(37) إلهاً . في تلك الفترة كان لا يزال الإله خوم–بان الإله الرئيس فيمجمع آلهة عيلام، وإلى جانبه آلهة المدن المحلية ، وكان أشهرهم الإله إنشوشيناك أي سيد سوزا(NIN–SUSIN–AK)وقد يكون اسمه ورد بهذه الصيغة بسبب تأثر سوزا بحضارة وادي الرافدين، وما كان سائداً لدى سكان وادي الرافدين من ألقاب استخدموها آنذاك، ومنها لقب (IN) كما ورد اسمه في نصّ المعاهدة العيلامية الأكادية في المرتبة السادسة ، ممّا يدل على المكانة التي كان قد بدأ يحتلها هذا الإله عند أواخر الألف الثالث ق.م .

مع مرور الزمن دخل إنشوشيناك مع خوم بان وكيريشا في ثالوث إلهي ضمن مجمع آلهة عيلام ، فشغل إنشوشيناك في هذا الثالوث المرتبة الثانية بعد خوم بان، وأمام أو قبل كيريشا ،وفي هذه المرحلة لم يصل إنشوشيناك إلى المرتبة الأولى على الرّغم من أنه حصل على ألقاب فخمة مثل أب الضعفاء و مولى الأرباب ، بل بقيت هذه حاله حتى منتصف الألف الثاني ق.م حيث حاز لقباً يؤكد أنه أصبح في مرتبة الإلوهية العليا فدعيّ السيد العظيم و رب البلاد الأعلى [1].

وثمة إله آخر هو إيشنكاراب (ishnikarab) ؛ وهو إله أكادي، معنى اسمه : "لقد سمعت الصلاة" دخل عيلام تحت تأثير الحضارة الأكادية عند سيطرة الأكاديين على عيلام ، وحصل على مرتبة مقدسة بين الآلهة .

كذلك عبدوا في عيلام آلهة سومرية ، مثل : نرجال إله العالم السفلي ، و إنكي (Enki) و إيا (Ea)[2]،كما مجدوا إله القمر الذي يُدعى بالأكادية (sin) ، واسمه بالعيلامية غير واضح ، وربما دعوه نابير ،كما عبدوا الأجرام السماوية نفسها التي كانت مقدسة لدى سكان وادي الرافدين. ومن تعداد هذه الآلهة الرافدية نلاحظ أن العيلاميين عبدوا تلك الآلهة، وأعطوها أسماءً عيلامية ،و دخلت المعبد العيلامي تحت التأثير الحضاري لوادي الرافدين على عيلام [3].

2– المعابد العيلامية:

كانت الاحتفالات الدينية سائدة في وادي الرافدين وعيلام، وكانت تقام في المعابد و الأماكن المقدسة .إلا أن تلك الأماكن العيلامية لم يبق منها شيء حتى أيامنا هذه. ولكن يمكن للباحثين أن يتتبعوا ملامحها العامة في عمارة المعابد العيلامية ، وزكورات تشوكوزامبيل[4] فقد عُثِرَ في تلك المنطقة على آثار لثلاث معابد بين الأبنية المكتشفة : من اليسار على المخطط الأمامي مباشرة ووراء البوابة الشمالية للعمود الداخلي كان يقوم معبد خصصت فيه ممرات للكهنة والعاملين في المعبد للدخول إليه. ولحماية المعبد وضعوا تماثيل الأسود، أو الثيران في الممرات، أي استخدموا التأثير السحري لتلك التماثيل[5] .

---

[1] Hinz,w., the lost world of Elam, p. 43,

[2] السعدون، بلاد الرافدين وعيلام، ص274.

[3] الأحمد، سامي سعيد، تاريخ الشرق القديم ، ص65.

[4] زكورات تشوكوزامبيل، أو (دار أنتاش) الزكورات عبارة عن معابد متدرجة ، تقع على بعد 26 كلم جنوب شرق ديزفول، 30 كلم جنوب شرق سوزا انظر: السعدون، بلاد اللرافدين وعيلام، المرجع السابق، ص52.

5-Hinz,w., the lost world of Elam.p.55.

وفي داخل المعبد يمكن رؤية فتحتي أبواب، واحدة يسارية كانت مخصصة للدخول إلى المعبد، فوقها حصيرة من القش للوقاية من أشعة الشمس، والأخرى على اليمين كانت للزينة فقط.وكان سطح المعبد مستوياً ومؤلفاً من عدة قضبان خشبية على شكل طبقات أفقية .كما كان ثمة صف من النوافذ المستطيلة الصغيرة المتوضعة بين فتحات الأبواب والسطح مخصصة للضوء وتهوية الأماكن الداخلية، وفي المعبد ستةً من النتوءات الضخمة على شكل قرون ثلاثة على كل جانب من جانبي البناء.

لقد تميز بناء المعابد العيلامية بوجود بستان مقدس ملحق بالمعبد ،كان يُعدُّ جزأً لا يتجزأ من بناء أي معبد عيلامي ،كما كان يتمُّ تزويد المعبد وبستانه بالماء الضروري للطهارة، ولتحضير العصائر المقدسة، وتلبية حاجات المعبد، بالإضافة لحاجة البستان للرَّي ،عن طريق نقل الماء على الحمير. فقد كان كل حمار يُحمَّل بجرتين من الماء و يصعد بهما إلى المعبد للتفريغ، والعودة نزولاً، و لم يكن تزويد المعبد بالماء عملاً سهلاً، لأن العيلاميين كانوا يفضلون بناء معابدهم في الأماكن العالية،وكانت الأضاحي تقدم للمعبد يومياً باسم الحاكم وزوجته، وكان العيلاميون يحتفلون بداية الخريف من كل عام بعيد الإلهةالأم المقدسة عند ظهور الهلال الجديد ، وكان الاحتفال يجري في البستان المقدس الملحق بالمعبد تحت اسم "غوشوم أغلق " وتعني الأغنام البدينة الكبيرة، ويُعرَف هذا العيد بعيد سكب الدم و كان الاهتمام ينصبُّ فيه على جريان دم الأضاحي[1].ولم تضم المعابد العيلامية الكهنة فقط، بل كانت تقيم فيها أيضاً كاهنات كرَّسنّ أنفسهنّ لخدمة الآلهة المقدّسة [2].

3- الطقوس الدينيةالعيلامية:

بالنسبة للطقوس الدينية عند العيلاميين يمكننا رسم تصور بسيط عنها من خلال بعض التماثيل القليلة جداً التي تصور لنا تلك الطقوس؛ ففي أحد التماثيل رُسم طقس ديني يظهر فيه أشخاص يحملون الإله عبر المدينة على حمّالة، وأمام تمثال الإله يجلس موسيقيون برفقة الحمّالين، ويسير الرجال وهم يحملون الأعلام وأشكالاً غريبة من الحبال يُفترض أنها رموز الأفاعي التي كانت مقدسة آنذاك كما ذكرنا سابقاً.

أمّا تصورات العيلاميين عن العالم الآخر،أو حياة ما بعد الموت فقد كانت شديدة الشبه بمعتقدات جيرانهم سكان وادي الرافدين، الذين كانوا يؤمنون بالحياة الأخرى بعد الموت، وبأنَّ روح المتوفى تشاركهم حياتهم اليومية؛ لذلك كانوا يدفنون موتاهم تحت أرضيات البيوت، ويدفنون معهم الجرار الفخارية التي تحوي قرابين وبعض الأشياء الخاصة التي كانوا يعتقدون أن المتوفى يحتاجها في حياته الأخرى، وهذه التصورات نفسها كانت لدى سكان عيلام القدماء[3] .

فقد كان هؤلاء يدفنون موتاهم تحت أرضيات البيوت،ومع أن الفقراء كانوا يدفنون دون غطاء طيني بيد أنه كان لابد من وجود جرة أو إبريق فخاري مهما كان المتوفى فقيراً، أمّا الأشخاص الذين ينتمون إلى طبقة أعلى فقد كانوا يُدفنون داخل قبور طينية أو قرميدية تُبنى بعناية كبيرة[4].

كما كانوا يعتقدون بحاجة المتوفى للماء، فابتكروا طريقة لسكب الماء في القبور عبر أخدود كانوا يحضرونه في القبر، فالأموات كانوا يحتاجون الماء كحاجتهم للطعام [5].

---

[2]Ibid, p. 57.

[3]Ibid, p. 54-55.

[3] السعدون، بلاد الرافدين وعيلام ، المرجع السابق، ص 270.

2Ibid, p.57-60.

[5].Hallow, W., the Ancient Early East, p.66.

على وجه العموم كان الاعتقاد السائد بأن المتوفى يجب أن يكون له قبر لائق به وهناك وثائق تشير إلى ذلك، إلا أن أغلبها غير مفهوم بدقة،ولكن يمكن أن يُفهم منها أنهم يتمنون للمتوفى أن يستقبله إلاه العالم السفلي بكرم، وأن يملأ فمه بالزيت، و يطعمه اللحم والخبز ويسقيه النبيذ أو على الأقل الماء.كان خوفهم من العالم الآخر ناتجاً عن إيمانهم بأنه مآل كل شخص .

إذن من الواضح أنَّ المعتقدات الدينية العيلامية تأثّرت تأثراً كبيراً بمعتقدات سكان وادي الرافدين الدينية، وقد رأينا أن آلهة رافدية دخلت المجمع الديني العيلامي، وهذا يوضح التأثير الكبير لوادي الرافدين على عيلام؛ فقد أخذ العيلاميون عن سكان وادي الرافدين فضلاً عن مجمع الآلهة معتقداتهم الدينية بقوى الطبيعة و الأجرام السماوية كالقمر والشمس، ونظرتهم للعالم السفلي، وإيمانهم بالحياة بعد الموت، ومن المعروف أن ديانات شعوب وادي الرافدين جميعها كانت تؤمن بحياة أخرى يحياها الإنسان بعد الموت أو الانتقال إلى العالم السفلي و على الرّغم من التأثر الكبير للعيلاميين بحضارة جيرانهم الرافديين إلا أنه كان لديهم معتقداتهم الخاصة بهم، المتمثلة بشكل رئيس بعبادة الأفاعي والتبجيل والتقديس الكبير للألهة الأنثوية، كما ذكرنا سابقاً. إذن كان على عيلام بحكم عملية التطور التاريخي أن تتفاعل مع جيرانها لتبني حضارتها الخاصة .

الخاتمة:

من خلال هذه الدراسة الموجزة عن المجتمع والحياة الاجتماعية والاقتصادية في عيلام في فترة الألفين الثالث والثاني ق.م يمكننا أن نلاحظ أن هنالك تشابهاً كبيراً في الحياة الاجتماعية والاقتصادية لأغلب شعوب غربي آسيا القديمة وبشكل خاص بلاد الرافدين . عيلام بحكم القرب الجغرافي من بلاد الرافدين، فهي تعد امتداداً للسهل الفيضي الرافدي في جنوب بلاد الرافدين من جهة الشرق ولا تكاد لا تنفصل عنه، مما حتم وجود هذا التفاعل الحضاري في مختلف مجالات الحياة، وبسبب قلة الدراسات المتعلقة بتاريخ عيلام القديمة، يعتمد معظم الباحثين في التاريخ العيلامي على تاريخ بلاد الرافدين للوصول إلى بعض المعلومات حول تاريخ عيلام و ذلك بسبب متانة العلاقات التي ربطت بين البلدين على الرغم من طابعها العدائي في أغلب الأحيان.

Reference:

- M. Diakov, history of Media from the earliest times until the end of the 4th century BC. Moscow. Leningrad-1956, translation, Hassan Ishaq, 2010,
- Abu Asi, Theology, Religion, the Economy of the Kingdom of Mary, Eighteenth Century BC, Historical Study, Ministry of Culture, Damascus, 2002.
- Al-Ahmad, Sami Saeed and Reza Al-Hashemi, History of the Ancient Near East (Iran and Anatolia), Baghdad, 1980.
- Baqer, Taha, An Introduction to the History of Ancient Civilizations, Baghdad, vol. 1, 1973.
- Dr. G. Ridder, Y. a. Cherkassova, History of the Ancient World, Part 1, Moscow, 1970, translated by Hassan Ishaq, Dar Aladdin, Damascus, 2017.
- Durant, Wal, The Story of Civilization, Near East, by Dr. Mohiuddin Saber and Dr. Zaki Naguib Mahmoud, part 1, M1, Beirut, 1988.
- Ratih, Suzanne, Hatshepsut, The Pharaonic Queen, translated by Fatima Abdullah Mahmoud, Egyptian General Book Authority, Cairo, 1998.
- Al-Saadoun, Suleiman Nassar, Mesopotamia and Elam, civilizational relations in ancient history, Dar Enana, Damascus, 2010.
- Falcons, Bara'a, History of the Ancient Arab World (Nile Valley), 1st edition, 2006.
- Gulayev, The First Cities, Mesopotamia, The Cradle of Human Civilization, P Gulayev, The First Cities, Mesopotamia, The Cradle of Human Civilization, Part 1, House of Progress, Moscow, Translation, Tariq Masarani, 1989.
- Farzat, Muhammad Harb, Eid Merhi, Countries and Civilizations of the Ancient East, Dar Tlass, 2nd Floor, Damascus, 1994.
- Friedrich, Johannes, History of Writing, Translation, Suleiman Ahmed Al-Daher, Ministry of Culture, Damascus, 2017.
- Al-Qaisi, Muhammad Fahd, the transfer of power in ancient Iraq during the third millennium BC, 1st floor, Dar Tammuz, Damascus, 2011.
- Kremer, Samuel, from Sumer's Slabs, translated by Taha Baqir, Al-Muthanna Library, Baghdad of Progress, Moscow, Translation, Tariq Masarani, 1989.
- Farzat, Muhammad Harb, Eid Merhi, Countries and Civilizations of the Ancient East, Dar Tlass, 2nd Floor, Damascus, 1994.
- Friedrich, Johannes, History of Writing, Translation, Suleiman Ahmed Al-Daher, Ministry of Culture, Damascus, 2017.
- Al-Qaisi, Muhammad Fahd, the transfer of power in ancient Iraq during the third millennium BC, 1st floor, Dar Tammuz, Damascus, 2011.
- Kremer, Samuel, from Sumer's Slabs, translated by Taha Baqir, Al-Muthanna Library, Baghdad.
- Clinical, Horst, Hammurabi, the Babylonian and his era, Arabization, Muhammad Waheed Khayyatah, 1st Floor, Dar Al-Manar, Damascus, 1990.
- LA A. Liben, Selected Texts, Translation, Hassan Ishaq, Dar Al-Nour, Damascus, 2000.
- Marx, Karl, Helmonraych, The Pattern of Asian Production in Marx and Engels' Thought, translated by Ali Ali Yassin, Dar Al-Hiwar, Lattakia, 1988.
- Harry Sags, Bone of Babylon, translation, Amer Suleiman, 1989.
- Al-Hashemi, Taghreed. Hassan Hussein Akala, Man is the manifestation of times. History and civilization ... Mesopotamia. Al-Jazeera Al-Arabia, First Floor, Dar Al-Taleea Al-Jadeedah, Damascus 1999.
- Yusufov, The State of Elam, Moscow, 1977, translated by Hassan, Ishaq, Dar Ala, 2005

1. DEMICROSCHEDJ,((*observations dans les couches au nord-ouest du tell*.
2. HINZ,W,.*The lost world of E lam*,. Stuttgart, 1964.
3. SYKES,Percy., *History of Persia* . ,London ,19635-
4. T .PPOTTS,D., *the Archaeology of Elam.* : Formation and Trans formation of the anciet Iranian Stats/ Cambridge/ 1999.
5. VALLT,Elam;I*; History of Elam*. " EncyclopaediaIranica/1998./